

التطرف الفكري والصراعات الإيديولوجية: من الصليبية إلى الإرهاب.

بكار محمد

جامعة حسيبة بن بوعلي/الشلف m.bekkar@univ-chlef.dz

الملخص- يشهد العالم اليوم ظاهرة التطرف الديني المرتبط بمصطلح الإرهاب، هذه الظاهرة لها جذور تاريخية ضمن ما كان شائعاً في النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي تحت شعار "الإسلام هو الحل" نتيجة فشل الحلول الأخرى، وعاد الشعار يطرح نفسه على الساحة السياسية العربية خاصة بعدما حركت قوى أجنبية غربية هذا الجناح الفكري لغاية إيديولوجية بحتة للإطاحة بالأنظمة الدكتاتورية العربية المستبدة. وبعد دراسات أكاديمية أمريكية، تبين أن العالم الإسلامي هو المرحلة القادمة من نطاق الصراع العربي - المسيحي لدحر الإسلام والمسلمين تحت غطاء مكافحة التطرف الديني.

ولما ننظر إلى واقع بعض الدول العربية أن هناك حركات دينية مشبوهة استفادت من تمويل أجنبي لتبني أفكار الخلافة الإسلامية. ولأن الدول الغربية عرفت التطرف باسم الحروب الصليبية، أردنا في هذه الدراسة الاستفادة من تجربة المفكرين في هذا المجال، وكيف وصلوا إلى توجيه خطاب العنف إلى ما ينفع المجتمع الغربي الذي مر من التخلف إلى التطور.

الكلمات المفتاحية: الإرهاب، الإسلام، المسيحية، الصليبية، الإيديولوجية، العولمة.

Astract— The phenomenon of extremism misolé and today it has a serious ideological ideology, the European countries and the united states of America are stirring up the Christian to dominate Islam and Muslims under the guise of coming religious extremism and terrorism. Today, Muslims need to organize the mselaves and send reneured ideas to confront both militants and the west. The problematic question Is why fundamentalism has become a social and political scourge?

Evil and hatred were diverted towards science and work and initiative which provoked the development of Europe during the modern and contemporary era To reach this level the Arabs must understand that fundamentalism is a social and political scourge which has no place in the future of peoples.

Keywords: Terrorism, Islam, Christianity, Ideology, Globalization.

المقدمة:

يعيش عالمنا العربي اليوم تناقضات عدة تمتد جذورها إلى فترة رافقت النهضة الفكرية مع نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين وذلك نتيجة تنوع الأفكار والتوجهات لدى النخبة العربية المثقفة بين جناح الاتجاه الإسلامي، والاتجاه العلماني والاتجاه القومي الوحدوي، لكن الغريب في هذا أن هناك من حمل انتماءات إيديولوجية خارجية شكلت نوع من المودة للشرق آنذاك ونقصد بالطبع التوجه الاشتراكي أو الشيوعي رغم تمسك البعض من العرب المثقفين بالأفكار الليبرالية، لكن

رغم هذا بقيت أفكارهم وأصواتهم لا تكاد تصل إلى غيرهم نتيجة الزحمة في التوجهات وانصياح الطبقات الاجتماعية إلى اتجاهات مغايرة للقيم العربية الإسلامية الموروثة بسهولة وهذا بسبب ارتباط الأفكار الليبرالية بالاستعمار ومخلفاته حسب زعمهم.

حاولنا في هذا الموضوع البحثي استحضار أحداث الماضي من خلال ما عرفته القرون الوسطى إلى اليوم لمعرفة مصائب التطرف وسبل الرقي في ظل الصراعات الإيديولوجية التي أبدعها الغرب والشرق المعاديان للعروبة والإسلام وذلك بحكم طغيان النزعة الصليبية التي وضعت ضمن إستراتيجيتها الانتقال من الحضارة الإسلامية منذ ظهور الحركة الجهادية لنشر الإسلام خارج الجزيرة العربية.

لقد لاحظنا أن الكثير من مشايخ الحركة الإصلاحية الإسلامية في الوطن العربي خلال فترة ازدهار الإمبراطورية الإسلامية كانت لهم توجهات دينية حتى ولو كانت لهم مطالب سياسية ضمن تشكيلات سياسية أخرى سواء كانت معروفة أو سرية. ويمكن القول أن حركاتهم كانت تحمل أفكار معينة ومحددة تلخصت عموماً في "الإسلام هو الحل" حين معارضة النظام الحاكم، ليصبح هذا التوجه نوع من الموضة لدى البعض الذين دخلوا عالم السياسة لتحقيق هذا الشعار بعد انسحاب الاستعمار من الأوطان العربية في الفترة المعاصرة. لكن الحقيقة كانت تستلزم مشروعاً طموحاً يثير الإعجاب لا يتطلب الجدل بين مختلف الاتجاهات السياسية الأخرى مع تجنب انتشار الحروب الأهلية، ولا يغضب خاصة الحكومات العربية ذات الميولات الدكتاتورية والحكم القمعي الاستبدادي. ومن المعروف أن الدول العربية تضع الإسلام فوق أي اعتبار رغم تفشي الإيديولوجيات، حيث جعلته دين الدولة لقطع الطريق أمام دعاة الإصلاح، لكن تطبيق الشريعة الإسلامية يبقى أمراً جزئياً في كل الحالات نظراً للاختلافات الفكرية الموجودة داخل المجتمعات العربية خاصة النخب المثقفة بين مؤيدة ورافضة للتطبيق بحكم الاعتماد على التشريع الغربي اللائكي الذي يخدم طبقات محظوظة من المجتمع مرتبطة بالولاء للاستعمار رغم خروج هذا الأخير. وللوصول إلى هذه الحقائق طرحنا في هذه الدراسة الإشكالية التالية: هل بإمكان الفكر الإسلامي أن يستفيد من الحركة الصليبية لتجنب التطرف والحروب؟

وأمام هذه التناقضات الفكرية، حاولنا من خلال هذه الدراسة الإجابة بالاعتماد على منهج المقارنة بين صراع الأفكار، والمنهج السردى للبحث عن أهم الركائز الفكرية التي غيرت الأوربيين

وأبعدتهم عن التطرف الديني والحروب الأهلية بداية من الحروب المذهبية التي عصفت بأوروبا منذ القرون الوسطى إلى غاية تعاملهم مع الظاهرة الصليبية ضد العرب المسلمين.

والهدف من موضوع الدراسة هو الاعتبار من ما يحاك للأمة الإسلامية عبر الزمن، إلى جانب إظهار الأسباب التي كانت وراء انتشار التطرف الديني عند العرب، واقتراح بعض الحلول الممكنة كتطبيق الديمقراطية والأفكار البديلة انطلاقاً من خصوصيات العالم العربي المختلف عن الغرب خاصة ما تعلق بالقيم الروحية والحضارية، وأخيراً أخذ العبرة من الأعداء حتى نتصور ونبني مستقبل زاهر لا مكان فيه للتطرف إلا بالحج واليقين أسسهما العلم والمعرفة لا غير.

ومن بين نتائج هذه الدراسة الاستفادة من التجربة السياسية القصيرة للعالم العربي بعد الحرب العالمية الثانية التي لم تكن موفقة في فرض وحدة الأمة لا باسم الدين ولا تحت شعارات الإيديولوجيات المستوردة، حيث لم تتحرر الشعوب من الإرث الاستعماري والأنظمة الوطنية التي خلفها بعد خروجه. إن الأمة العربية تحمل منذ زمن الرسالة والدين ويمكن لها امتلاك العالم حسب ما تمليه قيم الإسلام الثابتة والمتغيرة وذلك بالاجتهاد والعلم لتطوير الرؤى والحياة بعيداً عن التطرف، ولا يمكن أن يتحقق هذا طبعاً إلا بالعودة إلى أصول الدين، وبناء أفكار تطويرية تخدمه ولا تدمره من أجل ولاء زائل أو شهوات ونزوات ذاتية لا يمكن إشباعها في الغالب، فالغاية المثلى هو بلوغ منزلة الترفع عن الأفكار السطحية لتجنب التطرف بكل معانيه سواء كان العنف أو الخوف أو التخلف.

1- تعامل الغرب مع الحروب الصليبية كظاهرة دينية:

ومن منطلق حقيقة الواقع العربي السياسي، ونظرة المجتمع العربي إلى الدين كبديل للأفكار الأخرى مثل الشيوعية والاشتراكية في الغالب، بينما البعض من المثقفين أصحاب النظرة اللائكية حسب النمط الغربي، لا يريدون إقحام الإسلام في مجال السياسة، ويعتبرون كل محاولة في هذا الاتجاه ما هي إلا تطرفاً من قبل من يطالبون بتطبيقه وفرضه على الآخرين بالقوة.

كانت الحروب الصليبية منذ القرون الوسطى ذريعة للغرب المسيحي لتشويه الإسلام والمسلمين، وإذا كان المتطرفون المسيحيون قد بالغوا في استفزازاتهم وقتلهم للمسلمين، فإن أفكار مفكريهم وجدت طرقاً مغايرة تماماً لتجنب التطرف الديني والتقليل من الحروب التي أغرقت أوروبا في أزمتها لم تحل إلا بعد الابتعاد عن التطرف الديني والتحول نحو الفكر العلمي والعلماني كظاهرة حتمية لنسيان الماضي للتطلع إلى المستقبل المشرق. وعند ذكر العرب المسلمين فإننا نجد نوع من الضياع خلال

الحكم العثماني المنغلق الذي ساد في العصر الحديث، هذا الضياع أدى إلى اهتزاز الهوية، ولم توجد وسيلة أخرى للحفاظ على بعض القيم الضائعة وذلك بانتشار الفكر الصوفي الذي ملأ الفراغ الثقافي والروحي في غياب الأفكار العلمية التي لم تساير أبدا تلك الأفكار العلمية التي ظهرت في أوروبا مع العصر الحديث. ولهم ما جرى حقيقة لا بد لنا الاستفادة من تجارب الغرب حتى نتجنب فعلا تسلط الأفكار الدينية المتحجرة والمتطرفة وغزوها المجتمعات العربية بعد استغلال حركات مشبوهة لتلك الأوضاع الاجتماعية والسياسية المزرية للعالم العربي بفرض ما يسمى بـ"الإسلام هو الحل".

يرى الكثير من المفكرين الأوروبيين أن الحروب الصليبية كانت نقطة سوداء في تاريخ أوروبا، حيث انعطفت الحركة الصليبية بشكل خطير في تاريخ الغرب المسيحي خاصة بمباركة الكنيسة الكاثوليكية لها على رأسها البابا، حيث كانت الحملات الصليبية التي دارت على نطاق واسع، سواء من حيث مجالها الجغرافي أو إطارها الزمني أو أعداد الذين شاركوا فيها أول حرب يخوضها الأوروبيون تحت راية أيديولوجية بعينها (ق.ع. قاسم: 1978، ص.47). ومن جهة أخرى نرى أن الإسلام البعيد عن العصبية رد على الصليبيين المعتدين حسب ما تمليه الشريعة الإلهية أي الجهاد ضد المعتدين. ولتبرير الموقف الإسلامي من هذه الحروب، لا بد من الرجوع إلى الأصول التي بني عليها الإسلام في تعامله مع هذه المواقف: "إن المتتبع لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، سيجد أنه لم يقاتل إلا لأحد سببين: السبب الأول: رد اعتداء واقع أو متوقع، وهي ما يطلق عليها "الحروب الاستباقية (أ. الشروبي: 2018، ص.5). أما السبب الثاني: هو الدفاع عن يجر على ترك دينه بالقوة، فهي حرب لأجل تقرير مبدأ لم يكن قرر بعد على ظهر الأرض، ألا وهو مبدأ "حرية العقيدة"، والسماح للناس بأن يختاروا ما يدينون به دون ضغط، ولا خوف ولا تعذيب، ولا فتنة، فإن حدث إرغام على اعتناق دين معين دون آخر، والسماح له بحرية الحركة، والكلمة، ومنع حرية الدين الآخر، وقمعه بالقوة، هنا وجب على المسلمين نصره هؤلاء المستضعفين الذين يفتنون ويرغمون على ترك دينهم (أ. الشروبي: 2018، ص.5).

ونجد أن التعصب الديني والكره غير المبرر الذي كان يكنه الغرب إلى المسلمين ولد غريزيا في المجتمع الأوروبي ليستمر التلاعب بعقول الناس تحت طائلة المصالح البابوية ورجال الدين الذين هيمنوا على عقول الناس حتى أصبحت الحروب الصليبية تدخل في إستراتيجية وأيديولوجية المواطن الغربي. ورغم أن الأيديولوجي الذي تجلى منذ البداية في خضم أحداث الحملات الصليبية الأولى إلا أن القوى الاجتماعية في الغرب الأوروبي قد اعتنقت هذه الأيديولوجية الصليبية وفق تفسيرها الخاص

(ق.ع. قاسم: 1978، ص.47). هكذا وجدت الأنظمة الغربية والمتطرفين من الأوروبيين النبلاء خاصة ضالته بتعصبهم ضد المسلمين وعوضوا كل كرههم وغلهم بروح صليبية مرجعيتها دينية، لكن فوائدها اقتصادية وتوسعية عند البعض، حتى لا نقول هي نعمة لدى الملوك للتخلص من الإقطاعيين المنافسين بجرهم نحو هذه الحروب المقدسة.

ومن جهة العرب المسلمين، فإننا نجد أنه كانت لهم منذ القديم أفكارا متطرفة أيضا بظهور الخوارج والمذاهب الانفصالية، لكن الفتاوي المباحة في عصرنا بعد تطور وسائل الطبع، والإعلام، ووسائل التواصل يجعلنا نحتاط من بعض من ينصبون أنفسهم مفكرين نتيجة التأويل، والتعصب. فمثلا حول موضوع جواز قتل الكافر يقول شيخ السلفية الجهادية "أبو محمد المقدس": "والأصل في دم المسلم وماله وعرضه، العصمة بالإيمان، أما الكافر، فالأصل فيه الإباحة إلا أنه يعصم بالأمان ونحوه" (أ. الشروبي: 2018، ص: 3-4). لهذا وجب القول أننا لم نستلهم من بعض أخطاء الأوروبيين في العصور الوسطى، ولا أخطاء المنظرين والعلماء باسم الدين في العالم العربي الإسلامي من المحيط إلى الخليج: "فهذه مجرد نماذج من جملة حديث طويل، مبنوثة في فتاويهم وإصداراتهم، توضح وتكشف، دون أن ندخل في تفاصيل طويلة، حقيقة فكرهم، وقد استدلووا على أقوالهم هذه بنصوص من كتب الفقه مدلل عليها بآيات من القرآن والسنة" (أ. الشروبي: 2018، ص.4). ولما ندرس الأسباب الرئيسية التي كانت وراء تفشي ظاهرة الحروب الصليبية الحاقدة على المسلمين نذكر الاستجابة الاجتماعية الملحة بلها عدما عرفت البلدان الأوربية نمو سكانيا غير معهود من قبل بفضل الاستقرار والتحسين الاجتماعي والاقتصادي، فظاهرة التخلص من الثقل السكاني في الحروب هي ظاهرة قديمة، واستخدمها ملوك الغرب. ومن جهتهم عرف العرب عدة مآسي، حيث كانت بلاد الشام تعاني من آثار اجتماعية كبيرة نتيجة الحرب بصفقتها من مناطق المواجهة لبؤر الحروب مع الصليبيين، أما مصر فكانت تعاني من مخلفات هذه الحروب أيضا وذلك بركود جميع النشاطات الاقتصادية مثل الصناعة والزراعة والتجارة وانهيار العملة وهذا يعود أساسا إلى خدمة الحرب وتكاليفها بشريا واقتصاديا، لأن بلاد الشام كانت تابعة لها إقليميا.

ولم تكن للحروب الصليبية نتائج وتداعيات اقتصادية على العرب فحسب، بل كانت لها أيضا تداعيات أخرى دينية وثقافية تطلبت تجنيد الجميع في هذه الحرب المقدسة، لأن الغرب رأى أن المسلمين هم أعداء المسيحية والبشرية ككل: "ومن بين ما أفرزه الصراع الإسلامي-الصليبي ظهور تجاه السلفية في الأوطان العربية، وبروز الصوفية وازدهارها، وتوقف الإبداع في المجال الثقافي

خاصة باستثناء ما عرف بالاتجاه الاجتزاري في التأليف، والموسوعات والمعاجم، والأدب الشعبي" (ق.ع. قاسم: 1978، ص.149).

والحقيقة أننا لم نتمكن من القيام بواجبنا الحضاري في العالم العربي لأسباب متعددة نراها موضوعية نذكر على سبيل الحصر الأسباب المتعلقة بمخلفات الاستعمار خاصة ما تعلق بالجانب الثقافي والتعليمي، إضافة إلى هذا بروز تيارين: "تيار يدعو إلى التجديد في كل شيء ومقصده الأخذ بالثقافة الغربية والنظم الاجتماعية الموجودة عند الغرب بإحداث تغيير يحذو حذو الغرب في مجالات الثقافة والأدب والاجتماع، بل والرأي الديني أيضا..." (ج.ح.علي: دت، ص.18)، وتيار آخر يتشبث بقيم المجتمع، وتقاليد وأدابه الموروثة، ويدعو إلى المحافظة على المنهج التقليدي في مجالات الثقافة، والنظم الاجتماعية، وفي مجالات اللغة والأدب والرأي الديني، والفتوى... (ج.ح.علي: دت، ص.18).

لقد استفحل التيار الأول التغريبي إلى درجة سعى إلى غلق كل الأبواب على المنتسبين إلى الدين والهوية، بينما ظهر في وسط التيار الثاني تيار آخر إسلامي متعصب يعتمد على التطرف لاسترجاع ما ضاع بالقوة بعدما تغذى من الأفكار الأصولية والثقافة الدينية السطحية بتواطؤ بعض من العلماء الذين جالسوا بعض الحكام العرب بالتزامهم والموالاتة لهم، واستفادوا من أموال مشبوهة المصدر حتى أنهم أصبحوا يخدمون إيديولوجية أقل ما يقال عنها أنها إيديولوجية تدميرية برمجت لتحارب أفكار التيار الأول المنسوبة إلى الحركة الإستصلالية المقصية للتيار الإسلامي حتى ولو اعتمد هذا التيار على الوسطية والتسامح في طرح الأفكار: "كل هذا حدث في ظروف غير عادية بسبب تقلبات سياسية واقتصادية أحدثت أزمات عامة، لا ينبغي إغفالها (ج.ح.علي: دت، ص.20).

وعليه فإن كل من درس ونهل من التراث الإسلامي واقترب منه، يعلم أن قراءته تحتاج إلى مهارات لعل أقلها أن يفهم الدارس أو القارئ بداية: "أن هناك فارق كبير بين الشريعة الإسلامية، والفقه الإسلامي، فالشريعة الإسلامية وضع إلهي ثابت، بينما الفقه اجتهاد بشري يخضع للصواب والخطأ، والتطور، والحذف، والإضافة، وإن كان محكوما في كل ذلك بإطار الشريعة وقواعدها، ومن ثم، يصح أن يوصف الرب، جل جلاله، بأنه "الشارع"، لكنه لا يوصف أبدا بالفقيه، الذي يصيب ويخطئ والعكس صحيح" (أ. الشروبي: 2018، ص.4).

2- العبرة من التجربة الأوروبية تجاه التوجهات الدينية المتطرفة:

لقد عاشت الأمم التطرف الديني منذ الأزل، وكانت الظاهرة الدينية مسيطرة على عقول الناس حسب ما تقتضيه المصلحة الشخصية زمن الإقطاع في أوربا خاصة. وتبين هذا من خلال الاعتماد على تحريف الكتب السماوية كل حسب ما تمليه عليه غرائزه الدنيوية حتى وإن تطلب ذلك اختلاق أفكار تمس بقلب المؤمن وتزعزع كيانه الروحي بأفكار منحرفة عن الأصول التي بني عليها هذا الدين. ولكن الحضارة الغربية استطاعت أن تخفف من بعض التطرف بعد الحروب والعدوان البربري والإقطاعي عبر العصور (ق.ع. قاسم: 1978، ص.193). وكشف البعض من المفكرين الغربيين عن هذه المأساة الدينية المعروفة خاصة في العصور الوسطى بقولهم: "جعلنا الحرب أمرا يستحق الاحترام بأن أضفينا عليها هدفا أخلاقيا ساميا، وقد تصدينا للحرب بدرجة من "التحضر" جعلنا في المثل العليا من أجل تبرير عملياتنا العسكرية (ق.ع. قاسم: 1978، ص.193).

طبعاً لم يكن هذا الاعتزاز المبرر لحظتها مكتملاً بفعل دور المفكرين في إصلاح العقول وتوجيه أصحاب القرار إلى ما ينفع المجتمع بالابتعاد عن الحروب الدينية التي تزرع الكراهية والتعصب وتستنزف الطاقات سواء تعلق الأمر بالخسائر البشرية أو المادية. ولا يمكن تحقيق نقلة سامية في مجال التطور إلا بالاهتمام العلمي، والتقدم المادي لنسيان المخلفات والمآسي الأوربية في العصور الوسطى.

أما الظاهرة في العالم العربي فقد اتخذت شكلاً آخر تماشياً مع ما اختلقه رجال الدين الأوربيين لتحقيق مصالح مادية خاصة زمن الانحطاط والركود والتخلف المحتوم الذي انتهى بمنح صكوك الغفران للسذج والبؤساء. ولعب بعض الطريقين وشيوخ التصوف الدور نفسه بتحقيقهم مكانة وامتيازات لم يبلغها رجال الدين المتصوفة من قبلهم: "ولهذا كانت الدراسات الأوربية مكثفة حول الطريقة وانتشارها زمن الأتراك خاصة ما تعلق بكيف تصبح أحد المرباطين؟. وذكروا أن هناك عدة طرق: العلوم، حسن السيرة، معرفة في القضاء، العبادة المنظمة، الجنون، وحتى الغباء قد يقود إلى بلوغ عزة المرباط، ولما تبلغ هذه المنزلة" (E.Doutté: 1900, p.73).

والشيء الإيجابي من الصراعات الدينية والحروب المستمرة أن خرج الغرب منها بوصفة كانت ناجعة وكافية في طي صفحة الماضي وبناء المستقبل لتطوير الذهنيات المتحجرة والمسئولة عن التطرف بالخروج من المصلحة الشخصية إلى المصلحة العامة التي تقتضي وقفة الجميع لتحقيق الأمن والأمان وهما شرطان أساسيان في المعادلة الحضارية لتجسيد الأفكار على أرض الواقع والتطلع إلى ما هو أفضل: "وفي الحقيقة أن العالم الغربي اهتم بالناس والأشياء المحيطة بهم، ونقصد بهذا

الكلام الاهتمام بالإنسان والطبيعة بشكل يفوق في حدته التفرقة التي قام بها أي أمر من قبل. ويبدو كأن جلودنا قد ازدادت صلابة في مائتي السنة الأخيرة" (ق.ع. قاسم: 1978، ص.263). وإذا قضت الدول الأوروبية على هيمنة الكنيسة ورجالها، فإن نفوذ الطريقين والصوفيين لازالت قائمة ولها مكانتها في التضليل ومسايرة الحكام حفاظا على مصالحها: "هذه السياسة (مهادنة الدولة للصوفيين) كانت كاملة النجاح لدى الحكومات الإسلامية، رأينا مرابطين لاسيما مساندة هذه الحكومات لكن مسالمة وأيضا تنفيذ مزالق الشخصيات الكبار والملوك" (E.Doutté :1900, p.118).

3- قيم جديدة لاستئصال الحروب والتطرف:

بعد التجربة مع الحروب والتطرف الديني الذي عصف بالأوروبيين من جهة، وبين الأوروبيين والعالم الإسلامي من جهة أخرى، ابتكرت الدول الغربية وسائل للابتعاد ولو لمدة عن الحل العسكري والمواجهة مع المسلمين، فوجدت إلا العلم والثقافة من بين الوسائل البديلة الناجعة لتجنب تلك القرارات السطحية المتخذة سابقا، وتوفير الأمن والأمان لتوفير سبل النجاح والابتعاد عن تلك السياسات التي جرت وراءها الخراب والنكسات خاصة لدى المسلمين.

في زمن الحروب الصليبية لم تسلم الدول الغربية المسيحية نفسها من الاختلافات الإيديولوجية، وتباين فكرة التمتع بالحرية لدى الأشخاص وتطلعاتهم من حيث الطرح والنظرة إلى الأشياء، لأن الفرد لم يتحرر بالشكل الذي نراه اليوم. لهذا تعتبر أمريكا الحديثة نموذجا آخر للمستقبل، فالولايات المتحدة قد خلقت التكنولوجيا التي تجعل الحياة أجدر بالعيش، ولكنها-على عكس إنجلترا-لم تقلل من شأن الحرب أو العنف (ك. رايلي: 1985، ص.206).

وعن أسباب نفور الغرب من ظاهرة التطرف والعنف واختيار البناء تقاديا للحروب الدينية، ويمكن أن نلاحظ أن الغرب اتخذ تجربة جديدة وتحديات أخرى للخروج من المأزق منها الالتزام بحضارة أساسها العلم والمعرفة بعد تحرير العقول من هيمنة الكنيسة الكاثوليكية التي استعبدت الناس وحققت مصالح رهبانها، ومصالح الملوك والنبلاء، حيث شكلوا طبقة جديدة محظوظة داخل المجتمع بعد امتلاك المعرفة: "لقد تغلب الغرب عن المآسي المظلمة في القرون الغابرة بفعل التطور واستغلال المادة، لكن بفعل ما اختلقه من تكنولوجيا وأسلحة الدمار والعنف والفتك إذا شئنا، ولكن لا يزال لم يقض على مجتمع العسر أو مجتمع التطرف والحرب: "ففي جانب منا رواد الحدود، وفي الجانب الآخر رومانين وفايكنج وصليبيين" (ك. رايلي: 1985، ص.206).

ويذكر جيمس بارك في هذا الصدد لما يشير إلى تلك التطورات التي حدثت عند الغربيين لما تم غرس قيم جديدة عوضت تلك القيم الموروثة ولا حضارية التي كرسها التخلف: "فقد تخطينا مرحلة السحر والطقوس الدينية إلى العقل والمنطق، ومن الفرع الخرافي إلى الثقة الفعالة، ومن الجهل المحلي إلى المعرفة ذات الطابع العام ومن الإيمان إلى العلم ومن البحث عن لقمة العيش إلى الراحة، ومن الصوفية إلى المادية، ومن الحتمية الميكانيكية إلى الشك المتفائل (ج. بيرك: 1994، ص. 126).

أما لما نتكلم عن الصوفية والطرقية في العالم العربي فهي ظاهرة قديمة ظهرت بعد تراجع الناس عن الدين وانقسام المشهد السياسي بعد الوحدة، حيث لازالت موجودة رغم ما شهدته العالم الغربي والشرقي من تطور وتقدم، وتعاليمها لم تتغير بمرور الوقت، حتى أن تنظيمها بقي على حاله . ولنا تجربة قديمة غير متجددة في الشمال الإفريقي: هي كلمة واحدة الإسلام في المغرب العربي كاملا للدراسة، فالحقيقة أن ثقافة الصوفيين أصبحت هنا تقريبا كل الدين (E.Doutté:1900, p.116). وعليه نجد هذه الظاهرة قد عرفت رواجا منذ زمن الأتراك: "وقام الاستعمار باستغلالها لدرايته أنها تسعى على مكاسبها، وحوار تجاهها لخدمة الإيديولوجية الاستعمارية: لم يتم تغيير الصوفية إلا تحت احتلالنا بقبول بعض النشاطات الدينية والسياسية" (E.Doutté:1900, p.72).

لا يجب أن ننظر إلى الحياة وتنظيماتها على أنها ملكية خاصة، نستعملها لأغراض احتكارية ومشبوهة تستفيد منها طبقة محظوظة أصبحت بفعل فاعل وبسرعة في قمة التسيير والتحكم في رقاب الناس، بل يجب أن تحميها تشريعات صارمة أو الدولة نفسها من الاستيلاء عليها، ويتمتع كل منا - تقريبا- بحق حرية التعبير. بهذا يمكن للعالم العربي المعاصر تبني هذا النظام والنموذج يبقى ساري المفعول للجميع حتى ولو تغير النظام السياسي بوجوه جديدة حسب ما تمليه التناوب على السلطة: "وهذا كله لأن العالم الغربي تطور بعد معاناة استمرت لقرون، ضمن للأسف حق الحياة والحرية للوصول إلى السعادة" (ج. بيرك: 1994، ص. 417).

وتعود أصول هذه القيم الغربية عموما إلى ذلك الاحترام والتعايش بين أفراد المجتمع ضمن أطر قانونية واضحة المعالم، يحترمها الجميع حاكم ومحكوم: "فنحن نحافظ على المسافة الصحيحة الشخصية التي تفصل بكل منا، وننظر إلى الاعتداء العادي على الفرد بوصفه جريمة كبرى. كما أننا نسمح للدولة بأن يكون لها كثير من الحقوق علينا أيضا، لكننا لا نسمح لها إطلاقا بأن تتعدى أو تنتقص من حقوقنا كأفراد" (ج. بيرك: 1994، ص. 63).

4- واقع العالم العربي والإسلامي اليوم:

في عالمنا العربي اليوم نلاحظ قصور كبير في الحريات الفردية اليومية، أما الحريات السياسية فنستطيع أن نقول بكل فخر لا وجود لها بفعل الأنظمة المنغلقة على ذاتها، ومن نتائج ضياع أفكار النيرين من المثقفين والنخبة العربية المتفتحة إما بالمتابعات القضائية المتعبد، أو السجون، أو فرض عليهم الانعزال جبرا وتركهم يتخبطون بمشاكل مفتعلة حتى يتحولوا من الهجوم إلى الدفاع عن أنفسهم عوض الاهتمام بحل مشاكل أوطانهم، بينما آخرون اختاروا القيم الغربية والتزموا يدافعون عن أنظمة فاسدة للاستفادة من مصالح ولو على حساب شعوبهم: " وهذا بالرغم من نشاط كثير من الكتاب المسلمين-الذين استهوتهم الثقافة الغربية- في الدعوة إلى فلسفات الغرب، ومذاهبه الفكرية والاجتماعية، وبالرغم من غرور الغرب بأفكاره وثقافته، إلا أن روحانية الإسلام، ونقاء الإيمان، وقوة الحق فيه تأخذ الآن طريقها إلى الغرب نفسه في مد جديد" (ج. ح. علي: 1994، ص.17).

لقد ضاعت المجتمعات العربية بين التطرف الديني الذي يريد أن يكون بديلا سياسيا أمام المنظرين اللاتنيين، والشيوعيين العرب الذين حملوا من جهتهم أفكار وإيديولوجيات الغرب من جهة، والشرق من جهة أخرى رغم أن مثل هذه الأفكار أصبحت غير نافعة بعدما اختفت منذ عقد التسعينات من القرن العشرين، بينما تمكنت من إنتاج دكتاتوريات وأنظمة هي ليست جمهورية ولا ملكية لكنها تسير نحو حكم التوريث غير المشروع ضمانا لاستمرار النظام والمصالح الضيقة لأقلية غير صالحة، تمكنت من السطو على ثروات وممتلكات العرب، وحلت محل الاستعمار بغرس عقيدة وطنية مفبركة مبنية على الإقصاء والتهميش والولاء دون الوازع الديني أو الأخلاقي المنظم للحياة حسب الكفاءة والاستحقاق النزيه. لهذا نفر الكثير من الحرية المسلوقة، ومن الحروب الدينية التي يغذيها الامبرياليون لفرض عصابات تريد حكما مطلقا لاستعباد الشعوب وإذلالها. كل هذا غيب العمل الاجتماعي والجماعي، وتغلبت الذاتية والأناية الغربية عن القيم الإسلامية، وفتح المجال للأفكار الاستتصالية والانفصالية مما اهتزت له الهوية العربية الإسلامية ونشطت مكانها الحركات الإثنية الساعية وراء تقسيم العالم العربي، وتحطيم العالم الإسلامي، وهي ذات الإيديولوجية التي خطط لها الغرب لجعل الأمة العربية مجرد أمة مستهلكة لقوت الجوع وأفكار الانسلاخ والذل والهوان.

وعندما نريد البحث عن أفكار جديدة تقربنا إلى فهم إسلام التسامح المسالم، يظهر تجاه التقريب والمقارنة الذي هو عبارة عن تجاه يهدف إلى تحقيق أمرين: " أولهما التعريف بالنظام السياسي الإسلامي، وثانيهما اعتبار وسيلة المقارنة هي السبيل لتحقيق هذا التعريف، والتقريب وبيان أوجه التشبه والاختلاف، بينه وبين النظام السياسي الغربي" (أ. شلبي: 1993، ص.93). لهذا وجب علينا

القول أن: "الفكر السياسي هو هذه الحصيعة من الموضوعات التي تخاطب العقل البشري فيما يمس عالمنا الواقعي المرسوم بعالم الشهادة ويدفع إلى التأمل والملاحظات والنظر فيما يتعلق بقضايا العقيدة والعبادة والقيم والنزاعات والأخلاقيات في الإسلام" (م. ص. العفيفي: د ت، ص. 53). لم يصارع العرب لوحدهم في الفترة الحديثة والمعاصرة بحثاً عن هوية مهتزة وسط الزحمة العالمية بفضل تضارب الاتجاهات والمصالح المختلفة. وأظهرت هذه المرحلة أنه لم يكن للشعوب المغلوبة على أمرها إلا أن تقبل نظاماً من النظامين المتصارعين: "النظام الشيوعي أو النظام الغربي، أو أن ترفضها جميعاً حفاظاً على دين، أو استبقاء لاستقلال وكبرياء قوميين من مثل ما نرى في اليابان وفي السعودية واليمن وغيرها من البلاد التي ارتبطت الحركات القومية فيها، بتأكيد هويتها الدينية وبخاصة في صفوف الشعوب الإسلامية" (ج.ح.علي: 1985، ص ص: 12-13).

من الجانب الأوربي دخل الغرب مرحلة جديدة كما سبق ذكره، ونتيجة التطور النوعي والثراء حلت الأسرة الكبيرة لدى المجتمع الغربي، حتى أن الأنانية عمت بفضل التقديس الأعمى والجري وراء المادة وجمع المال لضمان الرفاهية أملت أ أفكار الرأسمالية في الاقتصاد مما أدى إلى جفاء العواطف بين الناس إلى حد الاقتتال على ما هو للغير بدون حق. كل هذا جاء نتيجة حتمية لما جناه الغرب من القيم الاقتصادية والمادية المطبقة على الشعوب، وفرض مبدأ قيم السوق المبني على المنافسة غير المتكافئة، وما تضره رؤوس الأموال المجمعة من فائدة على الأشخاص والثراء الفاحش في غياب العدالة والإنصاف وتكافؤ الفرص. لقد مهدت هذه الممارسات إلى انتشار الرأسمالية المبنية على أسس مادية محضة دون القيم المعنوية والدينية مما حفز الناس إلى المسارعة نحو تحقيق الأهداف المادية، وذلك دون نظر إلى أي اعتبار آخر، فضعفت مكانة الدين كما ضعف تأثيره في حياة الناس (ج.ح.علي: 1985، ص ص: 12-13). نحن لا نقول أبداً الأخذ بجدية الأفكار الغربية وتطبيقها على العالم العربي، أو حتى العالم الإسلامي، لكن تجربة الشعوب تجعلنا دوماً نأخذ العبرة منهم إما بالإيجاب أو السلب، فالانحلال الذي تعيشه المجتمعات العربية اليوم، سيغذي لا محالة العنف والتطرف مستقبلاً، ويعود الغرب طبعاً إلى كراهية العرب والمسلمين ظناً أن هذا هو الحل لنسيان المشاكل الحقيقية التي يتخبط فيها العالم المتقدم المسيحي، فيتحول السلاح إلى ضرورة للقضاء على المسلمين ودينهم خاصة لما أصبح الأفكار المتجددة قاصرة على إيجاد حل يرضي الجميع.

إن تهديدات الغرب بالحروب المستمرة إما بالتحالف أو استعمال الحروب بالوكالة عن طريق عملاء عرب أصبحت ظاهرة اليوم تثير نغمة الحروب الأهلية في الوطن العربي، وتدخل بعض الدول

العربية في شؤون أخرى باسم مكافحة الإرهاب. في هذه الظروف المتوترة يؤكد الغرب عداوته للعرب والمسلمين حتى تمكن من فرض قيمه كما يريد، فحروبه هي دوما تحت غطاء اقتصادي أو سياسي، فالتدخل الأوربي-الأمريكي في شؤون العالم العربي سواء تعلق الأمر بالمغرب أو المشرق بعد تصدع المعسكر الشرقي، فايدولوجيته تفرض عليه السيطرة على بحار ويابسة هذا العالم: "إن مشروع الشرق الأوسط الكبير، الذي أعلنت عنه الولايات المتحدة الأمريكية في عام 2004م، يأتي في سياق التوجهات الإستراتيجية الجديدة للولايات المتحدة الأمريكية التي أعقبت انتهاء الحرب الباردة وتفرداها بقيادة العالم، وسعيها الدائم للهيمنة والسيطرة على المناطق المهمة من الناحية الاقتصادية والإستراتيجية (ع.ع. ع. الغول: 2012، ص.583).

إن الأزمات التي نعيشها في البلاد العربية قد أفقدتنا قيما قد لا تعود أبدا في ظل هذه الزحمة من القيم الغربية الجديدة المنتشرة، وقد تفقدنا هويتنا العربية الإسلامية بفعل عودة عصبية الجاهلية لكون أن الإسلام يذنب العصبية كما جاء في مقدمة ابن خلدون. وإن من يتأمل حال بلادنا اليوم يجد تيارات متناقضة يموج بها المجتمع وهي في ذات الوقت تجاذب الشباب سعيا لاحتوائه حتى يفقد السيطرة على نفسه، فهذا غلو في الدين وتشدد في فهم أحكامه، وذاك تيار آخر قد تحلل من الدين ومن القيم الأخلاقية. (جاد. ح. ع. ج. ح: 1985، ص ص: 24-25).

تعتمد حركات الإسلام السياسي اليوم بشكل كبير على فكرة الدين هو الحل: "...لتوطيد دعائهما وترسيخ برامجها التي تقول أن حياة البشر يجب أن تخضع لعبودية الله، وأن تكون الحاكمة الإلهية هي التي تقرر الشرائع والقوانين بحسب النصوص القرآنية وثوابت السنة بعيدا عن القوانين الوضعية البشرية والإيديولوجيات والفلسفات المختلفة" (أ.الموصلي: 2006، ص.113). إن النوايا الطيبة وحدها لا تصنع الأمم، كما أن الاقتناع الفطري الذي لا يترجم إلى برامج عمل لا قيمة له (أ.الموصلي: 2006، ص.23).

على العرب والمسلمين تجاوز الخلافات والسعي نحو مستقبل يجمع بين الروح والمادة لتجاوز الأزمات، فلا مناجاة للناس إلا بالتزود بالثقافة الإسلامية الصحيحة من منابعها وبتحصين الشباب ضد التطرف والتعصب (أ.الموصلي: 2006، ص.23). إن قصور الرؤى في تعاليم الدين والمعاملات يغذي سلوكا وإرهاصات جنونية بإقصاء الآخرين، وعندئذ يبلغ التطرف غايته حتى لا يعرف المتطرف إلا نفسه ورأيه وفكره وهذا هو العدوان (أ.الموصلي: 2006، ص.54).

جاء الإسلام رحمة يكرس الشورى والأخذ بالنصيحة وحسن المعاملة، لأن من مظاهر التطرف المرفوض في الإسلام التعصب للرأي ومحاولة فرضه على الآخرين بالقوة والعنف، وليس بالحكمة والجدال والتي هي أحسن كما أمر الله في كتابه... (أ.الموصلي: 2006، ص ص: 53-54). ونتيجة كبح الحريات وتقشي الظلم والكبت من الممنوع داخل الوطن العربي، ظهرت بؤر عديدة للحركات التي تدعم العنف والإرهاب في العالم العربي، وقد خلفت وراءها الخراب والدمار والخوف من المستقبل أو حتى العيش الكريم، والأخطر من هذا بقاء الأنظمة العربية المستبدة تراوح مكانها طمعا في الخلود فاتحة باب التدخل الأجنبي في العديد من الدول العربية ذات النظام الدكتاتوري الإستبدادي. فمثلا بلد كالجزائر: "... نجح الموقف الفرنسي في تعميم التهديد الإرهابي، وجاء في سياقه جملة من الأحداث على غرار عملية احتجاز الرهائن في موقعة عين أم أميناس لتدعم هذا الموقف... (ج.علاق: 2014، ص.334).

تحول اليوم الغرب من جديد نحو تبني الحروب حفاظا على المصالح بعد فشل الحركة الاستعمارية وتحرر الشعوب المستعمرة، هي صليبية اقتصادية مدعمة من قبل شركات عالمية احتكارية لبيع الغذاء والسلاح والتكنولوجيا. إن الإشكالية القديمة الإسلام-الغرب قد تجاوزها الزمن وذلك بفعل أن وحدة الإسلام لم تعد موجودة... وأن تقدم الأمل لا يتطابق مع تطور اليوم (Hichem Djait: 1978, p.183).

إن الجنوح نحو الحرب والدمار مطلوب في إيديولوجية الغرب لبيع السلاح وتعمير المناطق المخربة لإنعاش الشركات المفلسة في الغالب. ومثالا لذلك يبدو أن سلوك فرنسا الخارجي يشهد تحولا منذ التدخل العسكري في ليبيا، ففرنسا الرسمية والشعبية التي كانت تجنح نحو السلم باتت تتحدث بمنطق الحرب... (ج.علاق: 2014، ص.333). والشيء نفسه ينطبق على الولايات المتحدة الأمريكية في العراق واليمن. وهذا لأن الغرب موجود بقوته وتكنولوجيته. لقد سيطر وسيطر دائما (Hichem Djait: 1978, p.186).

لقد ازداد اهتمام القوى الكبرى بالإرهاب وبالعرب في السنوات الأخيرة بشكل لافت، وكانت تدخلات الغرب عنيفة أينما حلت تحت غطاء القضاء على الإرهاب والإرهابيين من المسلمين المتطرفين.

وشهدنا التحرك الأوربي-الأمريكي في أفغانستان لما أشاعت حركة طالبان تبني الخلافة الإسلامية وانطلاقها من هناك، واستطاعت الدول الغربية حشد 30 دولة في هذه الحرب، وكلنا يعلم

مكانة أفغانستان بين الدول كونها دولة ضعيفة وفقيرة، فمجرد ذكر فكرة الخلافة عوقبت شر عقوبة، وأدخلت دوامة الحروب الأهلية إلى اليوم. والسياسة نفسها طبقت على اليمن والصومال وبلدان الساحل في إفريقيا، لكن إستراتيجية الغرب تسعى أن تجر عدة دول عربية نحو مستنقع الحروب الأهلية الدينية بغرض تقسيم حدودها وتقسيم ثرواتها.

إن رؤى البعض من المفكرين العرب تحوم حول فكرة العودة إلى نظام الخلافة، حتى أن البعض منهم رأى أن على العرب التفاهم والتعاون مع الأتراك من جديد لإعادة الخلافة الإسلامية على سكة الطريق كمشروع حضاري مستقبلي كما كانت عليه في العصر الوسيط والحديث. ولتحقيق هذه الغاية فسر رشيد رضا واقع العرب على أنه: "حزب المتفرجين وحزب حشوية الفقهاء الجامدين، وحزب الإصلاح الإسلامي المعتدل. ووصف القسم الأول أنه لا يعتقد في الدين واتفاقه مع حضارة العصر السياسية والعلمية، أما الصنف الثاني: الحشوية فهم الفقهاء الجامدون الذي يتمنون أن تكون حكومتهم إسلامية ولكنهم يعجزون عن جعل القوانين العسكرية والمالية والسياسية مستمدة من الفقه التقليدي، ويأبون القول بالاجتهاد المطلق في كل المعاملات الدنيوية ولو فوض إليهم أمر الحكومة على أن ينهضوا بها لما استطاعوا حرباً ولا صلحاً" (م.عمار : 1998، ص.81).

ومن جهتها مرت حركة الإخوان المسلمين بالعديد من التجارب منها مراحل النجاح ومراحل الفشل، إلا أن زخمها ما زال في ازدياد، اخترقت الجماعة معظم شرائح المجتمع المصري والمجتمعات العربية الأخرى، كما أن لديها فروعاً في جميع أنحاء العالم، بما في ذلك الدول الخليجية، الجزائر، الأردن، وفلسطين، لبنان وليبيا وموريتانيا، السودان وسوريا (أ.ع. حيدر: 1999، ص.73).

انطلاقاً من هذا الواقع الذي لا نحسد عليه في العقود القادمة، فإننا نعيش ونتأسف عن حالة المسلمين اليوم المزرية ثقافياً ودينياً واجتماعياً إلى حد ننتظر فيه معجزة للاستفاقة من السبات والوهن والانقسامات المبرمجة، وفي الأخير فإنهم لا يتذوقون روح الإسلام الحقيقية، وهو شيء لم يحصل من قبل، لكن قداسة هذا الدين تجعلنا نفكر فيه، ونستفيد منه قدر المستطاع لما يخدمنا في ديانا وآخرتنا أي الجمع بين المادة والروح وبين العبادة والعمل لأننا أصحاب رسالة مقدسة وحضارة لا تفنى إذا تمسكنا بروح الإسلام والنصيحة. يقول أستاذ القانون الدولي بأكاديمية العلوم الدولية في لاهاي، ووزير خارجية هولندا عام 1937، ميتشال دي توب، في كتابه مجموعة محاضرات ميتشال دي توب، حيث ورد في الجزء الأول شهادة لتفوق المسلمين لما توحدوا باسم الإسلام ونهلوا من العلوم: "إن أول من فكر في قواعد القانون الدولي، هما فيتوريا وسوارس، إلا أنهما كانا يتمثلان ويتبعان القواعد الدولية

في الشرع الإسلامي. وإن جروسيوس، أبا القانون الدولي، نقل عنهما، وعنه نقل جميع فقهاء القانون الدولي الحديث (أ. الشروبجي: 2018، ص.9). وأضاف دي توب: "لقد ساعد العالم الإسلامي في سبيل إفراغ الإنسانية الصحيحة على البشرية البائسة، مساعدة يجب أن ينظر إليها بعين التقدير السامي، باعتبارها أسمى مما تم في أوروبا الرومانية والجرمانية والبيزنطية خلال القرون الوسطى، وقد استفاد العالم الأوروبي من الإسلام فوائد جمة مترامية المحيط (أ. الشروبجي: 2018، ص.9).

رغم ما يقال عن الإسلام ومن يمثلوا الإسلام اليوم، وما يحاك لهذا الدين في الخفاء من قبل المتطرفين والصلبيين الغربيين الذين حوّلوا عن قصد كل إخفاقاتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية إلى اتهام جميع المسلمين بالتطرف، لكنهم تناسوا أن الإسلام يبقى مرجعية دينية ودنيوية بامتياز، صالح لكل زمان ومكان نظرا لقدسية تشريعاته الإلهية التي لا تحتاج إلى تأهيل وتأويل من لهم مصالح وأفكار خاطئة عن واقعية الإسلام تجاه العنف والحروب غير المبررة، فكثير من الأحيان جر هؤلاء الجهلة الكثير من المغفلين المتعصبين إلى نهجهم، وحولهم إلى مرتزقة يجسدون أفكارهم كمغامرين بعيدا عن تعاليم الدين، محاولين الوصول إلى السلطة من أجل التسلط والعودة إلى العصر الجاهلي. لا بد من إتباع التعليمات وتقريب التوترات والتفاعلات بين الهيئات الدينية والهيئات الحديثة المتشددة للتحقق من القيم في الإسلام (Mohamed Arkon: 2007, p.12).

لقد خذل الجهلة الإسلام لما استخدموا العنف في مفردات الفقه الإسلامي لإسباغ وإطفاء صفة الشرعية على خطابهم لإقناع المارقين المغفلين وتجنيدهم في حرب يقتل فيها المسلم أخاه لغاية يخسر فيها الجميع وتضيع فيها الحقوق في غياب سكوت العلماء وأولي الأمر: "بينما السلطة من وجهة نظرهم، تقوم على حالمية الله، لما في ذلك من التنصل من المسؤولية وردها إلى المشيئة الإلهية، وأعلنوا من أنفسهم مفسرين للشرع الإلهي" (ع.س. قصاص: 2018، د.ص).

إن هذا يؤكد أهمية وضرورة المواجهة الفكرية والفقهية لكشف زيف خطاب التطرف والعنف وتوضيح للناس حسب عقولهم مدى خطورته وهشاشته من أجل الانطلاق نحو تجديد الخطاب الديني السليم أساسه الإيمان والمعاملة والنصيحة والتسامح، وبفضل هذا تبدأ أولى الخطوات لتفكيك خطاب هؤلاء، ثم مواجهة بعض المسائل والأطروحات الموجودة بين طيات فقهاء وتراثنا الإسلامي التي تحتاج إلى إعادة نظر... (أ. الشروبجي: 2018، ص.10). لكن في هذه الظروف المضطربة إقليميا ودوليا وكراهية الغرب للمسلمين، يجب الحذر من تغيير الأوضاع السياسية بصفة لا يمكن التحكم فيها وفي عواقبها، وهذا ما وصل إليه الفكر العربي المعاصر: "وللعالم العربي تقاليد وإدراكات إقليمية، يجب

مراجعتها عند زراعة الديمقراطية، ويجب عدم الأخذ بنماذج ديمقراطية بعينها، بل التركيز على المؤتمرات الموضوعية للديمقراطية، وذلك بسبب اختلاف البيئة العربية عن أية بيئة نشأت فيها الديمقراطية، كالأمريكية والأوروبية، كما يجب وضع محددات التعثر الديمقراطي لتجنب السقوط فيها (ع.س. قصاص: 2018، د.ص). وخلاصة الكلام من الصعب الخوض في هذه المسائل المصيرية في أجواء عربية لا تبشر بخير أمام وضع دولي غريب الأطوار، لا مكان للضعيف فيه حتى وإن امتلك ثروات الطاقة على أرضه، والمال الموجود في بنوك الدول العظمى. نقولها صراحة أن الوضع الذي يوجد فيه الوطن العربي جد معقد، ولا خيار لنا فيه كعرب مسلمين إلا انتهاج طريق الديمقراطية لكن حسب القيم الموروثة منذ مجيء الإسلام، لأنها الوحيدة الكفيلة بجعل الشعب العربي صاحب القرار بممارسة حقه في انتخابات نزيهة حتى يصبح مصدر لجميع السلطات ويستفيد من عيوب السلطة المقصية للطاقات والأفكار البناءة، هذه السلطة التي خذلت وخدرت العرب، لا تنطق إلا باستعمال القوة وإرهاب المعارضة مهما كان شكلها لضمان ولائها في الأخير حسب ما تمليه المصلحة المشتركة على حساب الشعوب المغلوبة: "...أيدت كل الدول العربية الولايات المتحدة في حربها التي أعلنتها ضد الإرهاب الإسلامي، والذي بدأ يتحول إلى شبه مواجهة كاملة مع أصولية الإسلامية وأنصارها، كل الدول العربية باستثناء العراق وإلى حد ما ليبيا، اللتان اتخذتا موقفا أكثر حذرا، بل وأكثر انتقادا لصيغ الحرب التي أعدتها القيادة الأمريكية" (عبد القادر رزيق المخادمي: 2006، ص. 90)

- النتائج والتوصيات:

في الأخير نقول أن للعالم العربي خصوصيات عدة، وعزة كبيرة بماضي مجيد يعود الفضل كله إلى الإسلام الذي وحد العرب، حيث عرفوا زمان تطبيقه على الجميع جميع معاني التحضر والتقدم، فامتلكوا العالم القديم. واليوم فمن واجبنا معرفة دعم هويتنا الحقيقية، والتمسك بهذا الدين حتى نتمكن من وضع خريطة طريق صحيحة والاستفادة من غيرنا من باب قوة، أي اقتباس ما يلزمنا حسب ما تتطلبه قيمنا وبيئتنا وديننا الذي أبعدنا عن النفاق وجعلنا لا نتبع ملة المسيحيين واليهود. إن عالم اليوم، هو عالم التغيرات الجذرية والعاصفة الأمريكية وهي تستمر لعدة سنوات، حسب الوضع الراهن، ستكون محملة بالمخاطر والتحديات بالنسبة للعالم برمته، لكن الأمر المؤكد، هو أن صورة المستقبل، سوف تكون مشرقة بالنسبة لنا، لا سيما، أننا نمتلك مقومات الاستمرارية والبقاء، ولعب دور متميز إقليميا وعالميا (عبد القادر رزيق المخادمي: 2006، ص. 327).

من خلال ما سبق عرضه، يجب على المتعصبين التفتح إلى نحو ما هو أسمى من أجل تعاون الجميع لخدمة الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، فمن فضل الله أن هذا الدين يزحف نحو الغرب بشكل غير مسبوق بفضل سلميته وتسامحه، حيث أصبحت عملية الاقتناع به بديلا نفسيا وللروح والمادة الفاسدة. كما يجب على المتعصبين إدراك أن الدين الإسلامي هو دين مقدس لأنه دين لا يحتمل التأويل والتحريف، وإلا كانت أمور العرب والمسلمين عامة أتعس مما هي عليه الآن رغم تحطيم العراق وليبيا وسوريا واليمن، وفرض إسرائيل منطقتها على عرب غزة والجولان وحدود لبنان. أما أنصار الإسلام السياسي الذين ينظرون إلى الديمقراطية على أنها خيار لا بد منه في الوقت الراهن، حتى لا يفلت الأمر ويصبح في يد المتعصبين الذين أسسوا جبهات وجيوش بواسطة أموال غربية مشبوهة، بينما الإسلام بريء منهم جميعا، ومن تواطئهم ضد العرب والمسلمين. وعن هذا دافع الأستاذ آركون عن الإسلام في أحد الملتقيات المنظمة في باريس الفرنسية: "أندد بكل هدوء مأساة زماننا: زمن الاختراعات العلمية الكبرى، لكن أيضا أفكار ذات الاستعمال لمرة واحدة (Mohamed Arkon: 2007, p.16).

إن عالم الغد، ومهما كانت الحضارات متباينة يجب أن يكون عالم يسوده التعاون والتضامن وروح الإخاء بين الحضارات، وليس الصراع بين الحضارات كما يتوهم المفكر صمويل هنتنغتون (عبد القادر رزيق المخادمي: 2006، ص. 17). لهذا لا بد أن نفهم اليوم أننا أصحاب حضارة ورسالة، لا بد من العمل لتطوير البلدان العربية للوصول إلى اكتساب العلم والمعرفة، والتقىيد خاصة بالإسلام وقيمه لتجنب النفاق في حياتنا البائسة، فلا نهب أموال الشعوب، ولا العمالة للأعداء، فالعملة قد لا تستمر وتضمد أمام رياح التغيير التي بدأت تظهر في الوطن العربي، فالسبيل الصحيح هو الاعتماد على المواطن العربي المسلم لخلق الثروة والتحكم في الثروات لاكتساب التكنولوجيا وتطويرها لبلوغ الحضارة المنشودة ولاستعادة أمجاد العرب.

المراجع

- 1- ابراهيم علي حيدر 1999، أزمة الإسلام السياسي: الجبهة القومية في السودان نموذجا، ط4، مركز الدراسات السودانية، القاهرة.
- 2- أحمد شليبي 1993، الفكر الإسلامي منابعه وآثاره، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- 3- أحمد الموصلي 2006، جذليات الشورى والديمقراطية: الديمقراطية وحقوق الإنسان في الفكر الإسلامي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
- 4- جاد الحق علي جاد الحق د.ت ، التطرف الديني وأبعاده: أمنيا..وسياسيا.. واجتماعيا: دار أم القرى للطباعة، القاهرة.
- 5- جميلة علاء 2014، استراتيجيات التنافس الدولي في منطقة الساحل والصحراء، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، عدد 19.

- 6- جيمس بيرك 1994، عندما تغير العالم، ت: ليلي الجبالي، مراجعة شوقي جلال، عالم المعرفة، الكويت.
- 7- عبد القادر رزيق المخادمي، النظام الدولي الجديد الثابت... والمتغير، ط3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006.
- 8- عبد القادر علي الغول، الأبعاد الجيوسياسية للتنافس الأوربي- الأمريكي على منطقة المغرب العربي، مجلة الأسمرية، عدد 16، السنة 9.
- 9- قاسم عبده قاسم 1978، ما هية الحروب الصليبية، عالم المعرفة، الكويت.
- 10- كافين رايلي 1985، الغرب والعالم: القسم الأول، ت: عبد الوهاب محمد المسيري، هدى عبد السميع حجازي، مراجعة فؤاد زكريا، منشورات عالم المعرفة، الكويت.
- 11- لطفي دنبري، محمد أمين شيايب: تأثيرات العولمة على المجتمع العربي وتحدي المواجهة، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد 30، عدد 3، ديسمبر 2019، 445-459 ص ص.
- 12- محمد عمارة 1998، أزمة الفكر الإسلامي الحديث، ط1، دار الفكر، دمشق.
- 13- محمد صادق العفيفي دت ، الفكر الإسلامي، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- 14- أحمد الشروبي 2018، فلسفة الإرهاب ضد الغرب"، نظرة القتل: المعالم والجذور والتشريح"، حفريات، قسم الأبحاث [http:// www.hafryat.com /30/10/2018](http://www.hafryat.com/30/10/2018)
- 15- عبد السلام قصاص 2018، إشكالية الديمقراطية في العالم العربي بين الحكام واليسار وقوى الإسلام السياسي، حفريات، [http:// www.hafryat.com 2018/10/18](http://www.hafryat.com/2018/10/18)
- 16-Edmont Douité, Note sur L'Islam Maghrébin: Les Marabouts, édition Ernest Leroux., 1900., Paris.
- 17- Hichem Djait, L'Europe et L'Islam,, Editions du Seuil,, 1978, Paris.
- 18-Mohamed Arkon : Colloque « Europe-Orient dialogue avec l'Islam », Colloque au sénat, Paris, 12 Juillet 2007.